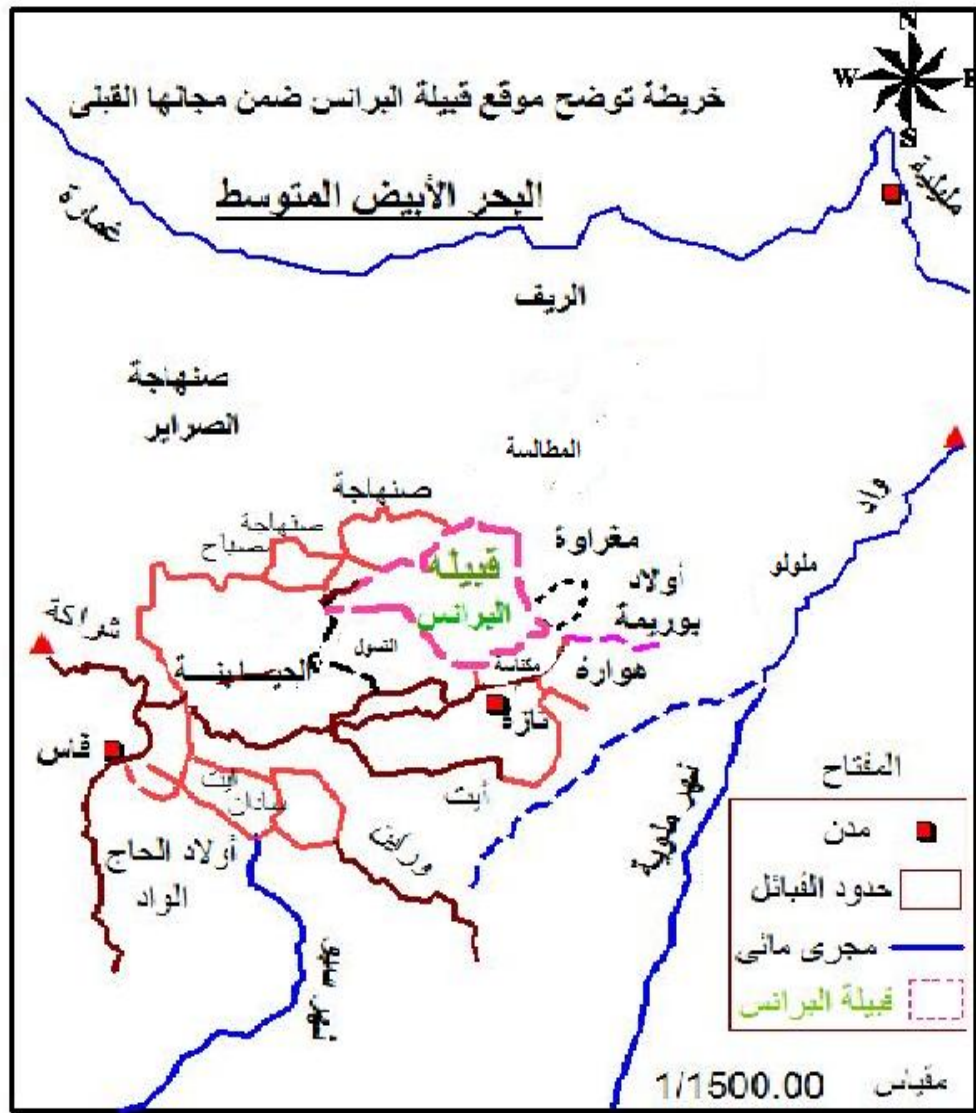


## مساهمة قبيلة البرانس في مقاومة الاستعمار الفرنسي للمغرب (1912 – 1925)

ضمن: المقاومة والحركة الوطنية بجهة تازة، الحسيمة، تاونات. 1900-1956. منشورات جامعة سيدي محمد بن عبد الله. كلية الآداب. فاس.



### سمير بوزوينة

سمير بوزوينة من أصول برنويسة / قبيلة البرانس . يعمل حاليا أستاذا للتعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية . سايس فاس. ويشرف على الأبحاث الجامعية في التاريخ . أطر مجموعة من الأطروحات حول منطقة تازة وقبيلة البرانس من ضمنها :

(1) أنماط العلاقة بين السلطة وقبائل مقدمة جبال الريف ، دراسة في السياسة القايدية على عهد الحماية الفرنسية . 1913 – 1956. أطروحة لنيل الدكتوراه للباحث إدريس أمحارتي .

(2) المقاومة المسلحة في أعالي حوض إيناون – قبيلة البرانس ( 1914-1956). أطروحة لنيل الماستر . للباحث عبدالسلام نويكة .

صدر له مؤخرا مؤلفا تحت عنوان : قضايا شانكة في تاريخ المغرب ، تجارة العظام البشرية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ( منشورات كلية الآداب . سايس فاس )

صفته كأستاذ للتعليم العالي وارتباطه اليومي بالبحث العلمي وكذا سمو أخلاقه ... كل هذا ساعدتنا على التشاور معه وإشراكه في مشروع البحث والدراسات حول قبيلة البرانس. لم يتردد ولو للحظة في دعم هذا المشروع خصوصا وأنه كان السباق إلى تأطير أعمال في نفس السياق . أمدنا مشكورا بهذه الدراسة القيمة لنشرها بالموقع ونتمنى ان تتظافر الجهود من اجل توثيق ودراسة كل مكونات مجتمعنا المتعدد.

## مساهمة قبيلة البرانس في مقاومة الاستعمار الفرنسي للمغرب (1912 – 1925)

إذا كان اهتمام المؤرخين بكتابة تاريخ المقاومة المغربية قد حقق مكتسبات وذلك عبر إخراج تاريخ جهات مغربية من طي النسيان، فإن جهات أخرى لم تحظ بعد بهذا الاهتمام، ومن بين هذه الجهات البرانس ما بين 1912 – 1925، والتي ارتأينا المساهمة في التعريف بتاريخ مقاومتها المنسي.

لقد عرف التاريخ المغربي المعاصر المقاومة في كل أرجائه، بحيث أن كل جهة اتخذت مقاومتها خاصية محلية، ومن مثل ذلك نجد قبيلة البرانس، التي استطاعت بما تملكه من جهد أن تطبع بصمتها على التاريخ المغربي المعاصر، وقد تأتي لها ذلك بفعل إرادتها وعزيمتها القويتين. فإلى أي حد شكلت هذه المقاومة صدى في أذهان المؤرخين؟ وإلى أي حد بلغ تأثيرها على مختلف القبائل المجاورة؟ إن طموحاتنا لا تتقيد بالطبيعة الثأرية والتنديدية للاستعمار الفرنسي، بل تتجاوز النزعة الذاتية، وتهمش الكتابة التاريخية التراثية المتعصبة للتاريخ المحلي والوطني، بقدر ما تحاول الكشف عن المستتر والمسكوت عنه في ملف المقاومة المغربية، ورد الاعتبار إلى مقاومي هذه المنطقة من جهة، وانتزاع المؤسسة العسكرية الفرنسية بالمغرب عنها الطابع الشعبوي النضالي من جهة أخرى.

إنه بالرغم من ذلك، فقد استطاعت المقاومة المنسية أن تنتزع من كلا المؤسستين السالفتي الذكر الاعتراف بقوتها وبأسها وضمود نضالها الوطني.

إن هذا التوجه فجر لدينا رغبة فذة في الاستكشاف وعدم الرضا بالجاهز، ورفض القبول بالمتعارف عليه، وقوى إرادتنا في فرز دلالات الجزئيات والتفاصيل الدقيقة في تاريخ المقاومات المنسية. واستنطاق المتن العسكري الفرنسي للكشف عن المضمرة والخفي والممحو حول هذه المقاومات.

يتضح إذن، أن المنطلق الأولي في دراسة مقاومة قبيلة البرانس يتأسس على تسجيل ذي بعد إحيائي لفعل الفوران الداخلي الذي أبى فيه البرنوصي إلا أن يحارب الاستعمار الفرنسي الغاشم.

إن العبرة المستنبطة من هذا النضال. تعبر أنه بالإمكان التحول من الرضوخ إلى المقاومة ومن الشردمة إلى الوحدة، ومن التواكل إلى الإرادة، ومن التبعية إلى الاستقلال.

إن هذه الشحنة نعتها المحرك لكتابة تاريخ مقاومة البرانس. وعموما كانت مسألة التحرير المهمة الرئيسية في نضال هذه القبيلة.

لكن أهم ما نسجله في هذا الصدد هو الطابع المحلي الخاص الذي اتخذته المقاومة البرنوصية، خاصة وأن المؤسسة العسكرية الفرنسية بالمغرب كانت تنظر إلى المغاربة في تخطيطاتها العسكرية كقوة وطنية واحدة، وكانوا يخططون للمواجهة على هذا الأساس، دون تفضيل لجهة على أخرى، وكان القضية بالنسبة إليها قضية مراحل وأشواط، قسم على أساسها ميدان العمليات إلى قطاعات بحيث تؤدي كل مرحلة إلى أخرى، ويؤدي احتلال القطاع إلى قطاع آخر، فلم تكن لها القدرة على اشتعال الحرب في كل القطاعات، لذلك ارتأينا إلا أن نحاول إبراز الخصوصيات المحلية للمقاومة البرنوصية.

إن الحديث عن نظرة تقييم المؤسسة العسكرية الفرنسية بالمغرب لهذه المقاومة، خير وسام يوضع على صدر القوى الوطنية التي قادت حركة النضال في هذه المنطقة، كما أن الحملة الواسعة التي شنتها هذه المؤسسة على بلاد البرانس، تؤكد بأن هذه القبيلة اعتبرت أحد المعائل المهمة في تاريخ جهادنا الوطني، وبذلك فقد ضربت مثلا نادرا في الصمود والاستمرار في المقاومة رغم الإمكانيات البسيطة، وانعدام الدعم الحربي. لقد أبت قبيلة البرانس بقيادة رجالها وأبطالها إلا أن تواجه الإستعمار الفرنسي بقاومة عنيفة، كان المستعمر قد وضعها مقدما في تقديره وحساباته، وحشد لهذه الحملة كل ما لديه من إمكانيات مادية وعسكرية لتصفية المقاومة بالمنطقة الشرقية. وبذلك تظهر هذه المقاومة على أنها ظاهرة وطنية رائعة، تؤكد إمكانية الصمود والقدرة على الاستمرار في المقاومة.

لا أحد ينكر البطولات الملحمية التي سجلها المجتمع البرنوسي في السجلات العسكرية الفرنسية، ولا أحد ينكر أيضا أن المقاومة البرنوسية ظلت غامضة ومطموسة لا تكاد تتعرض لها الكتابات المغربية القليلة إلا خطفا وبطريقة عابرة، وبإيجاز يحجب أهمية هذه الفترة ويطمس الدور الذي قامت به فئات مناضلة.

## I - القيادات الفاعلة في المقاومة البرنوسية:

لا تسعفنا الكتابات المحلية ولا الكتابات العسكرية في التعريف بالمقاومة البرنوسية، إذ لا نجد إلا تعريفا بسيطا متناثرا في المتن العسكري الفرنسي. وانطلاقا من ذلك أبينا إلا أن نستثمر المعلومات المتوفرة لدينا، والتي على الرغم من شحتها فإنه بإمكانها أن تضيع لنما صورة مشرقة عن خصوصيات مقاومة البرانس، التي وإن لم تفرز شخصيات قيادية محلية، فإنها ساهمت برجالها الغيورين على الوطن، وشاركت في مختلف المقاومة التي اندلعت بالمغرب. ولذلك فإن الشرارة الأولى لمقاومة البرانس انطلقت منذ أن وطأت أقدام القوات الفرنسية مدينة فاس، حيث انضموا إلى الدعوة الجهادية التي قادها الفقيه محمد الحجامي، والذي ترأس يوم 16 ماي 1912 الحركة التي احتشدت في بومرشد، والتي تتكون من 3000 فارس، بالإضافة إلى 6000 من مشاة غيثة والبرانس والتسول وبني وراين والحيانية (1).

إذا كان البرانس قد شاركوا في محاصرة الفرنسيين بفاس، فإنهم استمروا في مساندة الفقيه الحجامي طيلة مرحلته الجهادية. وأهم ما نقف عنده هو دور قبيلة البرانس في تهيج المنطقة الشرقية على سعة الجهاد والمقاومة. خاصة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى من جهة وبداية تطبيق المؤسسة العسكرية الفرنسية بالمغرب مشروع توأمة المغرب الشرقي والمغرب الغربي من جهة أخرى.

### 1 - دور مولاي محمد الغازي في تفجير مقاومة البرانس:

لقد استغل البرانس فترة الحرب العالمية الأولى، وشرعوا في استنفار القبائل المجاورة لمقاومة الاستعمار الفرنسي للمغرب، وبالنظر إلى عدم ظهور شخصية قيادية محلية، التف البرانس في هذه الفترة حول مولاي محمد الغازي الذي انطلقت دعوته من أوساط قبيلة صنهاجة، وبالنظر إلى عدم نجاحه في تشكيل القاعدة البشرية لحركته من هذه القبيلة، فإنه وجد الصدر الرحب لدى البرانس خاصة أهل أوربة، الذين التفوا حوله، وانطلقوا معه يوم 14 غشت 1914 إلى ضريح سيدي أحمد زروق، المكان الذي سوف تنطلق منه الحركة الجهادية لمولاي محمد الغازي. لكن الانطلاقة هاته لم تكلل بالنجاح، وانتقل بعد ذلك إلى بني افتح وأولاد جرو (2). إن المجال الذي تحرك فيه هذا المقاوم كفيل بأن يفجر لدينا أسئلة مشاكسة ومستفزة، خاصة فيما يخص أبعادها الدلالية والدينية والجهادية. وفي هذا الصدد يصبح السؤال التالي له مشروعية: لماذا انطلق مولاي محمد الغازي من قبيلة أوربة البرنوسية؟ فهل هذا له علاقة بدعوة إدرسية إحيائية؟



البرية حيث يقام سنويا أواخر شهر غشت موسما إحياء لذكرى بيعة إدريس الأول من طرف قبيلة أوربة

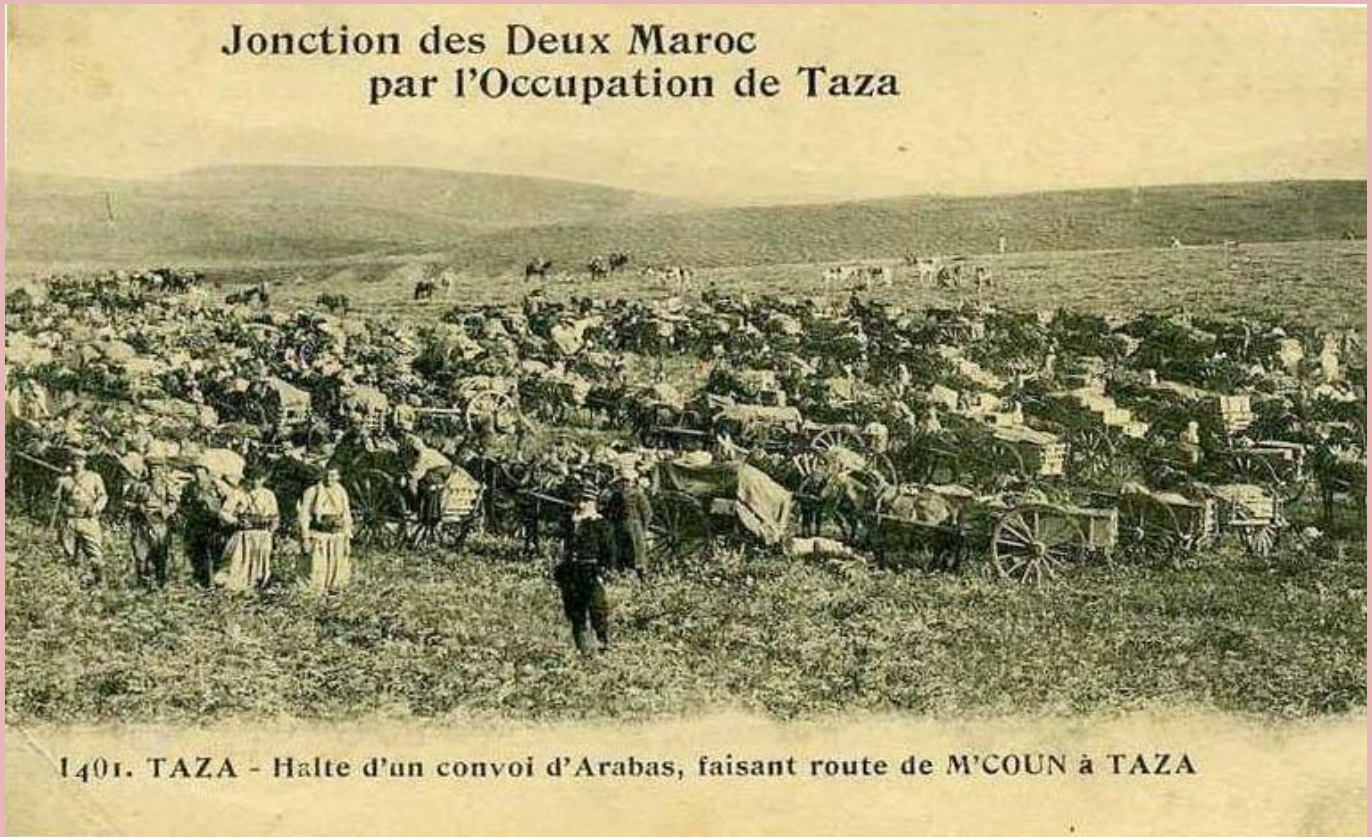
نكتفي بطرح السؤال دون الإجابة عنه، حتى تكون القصيدة واضحة، تنطق بمضمراتها المنسية والمستترة.

لقد سعى مولاي محمد الغازي بكل إمكانياته البسيطة إلى تحريك المجال البرنوسي المقاوم، وكان يهدف من ذلك إلى تحقيق قيادة مشتركة مع المجاهد والمقاوم الشريف الشنكيطي. وهذا المسعى يدل في عمقه على قلة الإمكانيات المادية والبشرية من جهة ووعي مولاي محمد الغازي بضرورة خلق تكتل قبلي موحد ومتراص تحت قيادة جهادية واحدة. لكن هذا المقاوم اصطدم بواقع منافع لتصوراته الجهادية، بحيث ما إن وصل وأتباعه إلى **واد مسون** حتى رفض الشنكيطي وأتباعه التحاق المقاومين الجدد بصوفهم. وإذ كان عاد مولاي محمد الغازي إلى باب تيمالو -مكناسة الشرقية - (3)، ومن ثمة اتخذ هذا المجال قاعدة لحركته الجهادية، وانطلاقاً من ذلك، لم يتوان هذا المقاوم في تفعيل مشروع مقاومته بكل ما توفر لديه من إمكانيات وطاقات مادية ومعنوية، وذلك عبر تحريك همم الفئات الحية الغيورة على الوطن والمقاومة للاستعمار الفرنسي. وفي أفق البحث عن السند والدعامة لإنجاز مشروع دعوته الجهادية، انطلق في تشكيل قاعدته البشرية الأولى، والتي أصبحت تضم القوام القتال التالي:

1 - مائتين من مشاة صنهاجة، وبنو افتح وأولاد جرو.

2 - بعض أهل مكناسة.

3 - بعض فرسان مغراوة وأولاد بوريمة (4).



إن تشكيلة هذا القوام القتالي الذي احتشد بهذا الموقع، تدل على أم مولاي محمد الغازي استطاع أن يصل تأثير دعوته الجهادية إلى مجموع القبائل المحيطة بقبيلة البرانس، والتي رحبت بفكرة الجهاد وراء شخصيته. وكان موعد انطلاق 1914، وذلك بعدما تمكن مولاي محمد الغازي من تشكيل قوام قتالي قادر بمعنوياته الجهادية على منازلة القوات الفرنسية المرابطة بالمنطقة. وعلى إثر ذلك شرع في مدهامة القوافل العسكرية الفرنسية المتجهة نحو مسون. وقد تمكن من محاصرة قافلة عسكرية بمعبر واد أغبال، لكن هذه الأخيرة استطاعت أن تفك الحصار وأن تلحق بالمحاصرين خسائر فادحة. أما من جهة القافلة الفرنسية، فقد قتل مناوش من صفوفها. إنه بمجرد انتهاء الاصطدام بين الطرفين حتى فر مولاي محمد الغازي وأتباعه إلى باب تيمالو وقد مكث بها ليلة واحدة، وبعدها رحل إلى المطالسة، بعدما تنصل منه أهل مكناسة وأولاد بكار، وتحت وقع هذه الهزيمة التحق بالمنطقة الإسبانية، ليعتكف بزواية كركر (5).

## 2 -رصيد البرانس الانتفاصي الجهادي بقيادة عبد الملك:

إنه على الرغم من فشل الدعوة الجهادية التي قادها المجاهد مولاي محمد الغازي، فإن البرانس استمروا في مقاومة الاستعمار الفرنسي، وأكثر من ذلك أصبحوا في تأهب مستمر للالتفاف حول قائد ومجاهد يحملهم إلى ميادين القتال، وبالفعل، فما إن ظهر عبد الملك بين ظهرانهم حتى لبوا الدعوة الجهادية التي دعا إليها.

ووفق ذلك، يجب التنبيه أن عبد الملك انطلق من نفس المجال الذي انطلق منه مولاي محمد الغازي أي من قبيلة أوربة، حيث يقول في شأن ذلك السليمانى الأعرج:

" ثم سار عبد الملك إلى بلاد أوروبا - من أعالي ورغة - والتفت عليه صنهجة ومثوية وكزناية ومن جاورهم. وأقام هناك فتنا دامية ومناوشات حربية في حدود المنطقة الفرنسية التي قاومت بالصرامة حاميتها مدة الحرب (ح.ع.1). ولم تنجل فتنته إلا بقيام الريفيين على إسبانيا - في منطقة نفوذها - بساحل الريف واضمحلال أمر عبد الملك ورجوعه أخيرا إلى تطوان. فراجعت قبائل صنهجة طاعة المخزن وسلك سبيلهم في من جاورهم من القبائل، واستكانوا وصانت الحكومة والعمال بتلك الجبال واستتب الأمن فانحالوا على ذلك لهذا العهد "(6).

إن الصورة الممخزنة التي يقدمها السليمانى حول عبد الملك، كقبيلة بأن تفضح التوجه الحقيقي لصاحبها، بحيث يعتبر المقاومة التي قادها هذا الأخير مجرد فوضى، وبذلك ينزع عنها طابعها النضالي والشعبي. لكن الحقيقة - كانت شيئا آخر (7).

يتضح إذن، أن رفض السليمانى الأعرج لمقاومة عبد الملك هو رفض مزدوج لشخصيته القيادية وللقبيلة، التي انطلقت شرارتها الحقيقية في مقاومة الاستعمار الفرنسي منذ 24 مارس 1914، إذ هاجم البرانس بتحالف مع قبائل التسول وغيثة القوات الفرنسية المرابطة بالمنطقة، وقتلوا في صفوف القوات الفرنسية القبطان (Le faire) وجرحوا ملازم، وأعادوا الهجوم على قوات العقيد (Bulleux)، والذي انتهى بقتيل واحد وثمانية جرحى.(8)

4 CAMPAGNE DU MAROC 1914. — Colonne de Taza. — Les blessés du Combat du 13 mai attendent le convoi qui les ramènera à l'Hôpital de Fez.



Editeur de la Vie Marocaine, Casablanca. D. J. Léria, photo.

وعلى وقع هذه الأحداث أصبحت قبيلة البرانس تشكل تهديدا حقيقيا للقوات الفرنسية المتواجدة بواد إيناون واستمر البرانس في تنظيم هجمات منسقة على القوات الفرنسية. ومقابل ذلك بادرت المؤسسة العسكرية الفرنسية بالمغرب إلى إرسال المقدم Drangoin في 5 ماي إلى شمال تازة، ومعه المجموعة المتحركة التابعة لتازة والتي تضم 5000 رجل، إنه بالرغم من هذه الترسانة العسكرية القوية، فإن البرانس بادروا إلى تحقيق المبادرة والمباغته، إذ داهموا القوات الفرنسية في مسالك سيدي أحمد زروق ، وبالنظر إلى شدة وبأس المقاومة التي أبدتها البرانس، فإن العقيد فوانو يصفها كالتالي:

"رغم المقاومة الشديدة التي أبدتها العدو، فقد تمكنا من طرده إلى القمم المجاورة، ولم تتمكن قواتنا من احتلال سيدي أحمد زروق إلا بعد عدة ساعات، وعادت فرق المتمردين إلى الهجوم، وترتب عن ذلك مقتل سبعة وجرح خمسة عشر " (9) .

إن النتائج التي أسفرت عليها هذه المواجهات، أجبرت القيادة العليا إلى تجنيد خيرة قياداتها العسكرية، حيث كلفت العقيد هنري سيمون (Henri Simon) بتنظيم هجوم مباغت يرد بالمثل على ما لحق بالقوات الفرنسية، وعليه طارد هذا العقيد البرانس إلى شمال سيدي أحمد زروق، وكلفه ذلك مقتل سبعة وجرح أربعة عشر منهم ضابط واحد.

إن قوة المعارك التي شنها البرانس على القوات الفرنسية، ألزمت القيادة العليا إلى إنشاء مستودع للمؤن لجبل الحلفة (خمسة كلم من الجنوب الغربي لسيدي أحمد زروق)، وجعله مركزا عسكريا ترابط فيه القوات الإلحياطية التالية:

- 1 - أربع مجموعات من المشاة.
- 2 - مجموعة واحدة من الخيالة.
- 3 - فوج من المدفعية.



إن هذه القوات لم تستكن إلى الراحة بل فرض عليها البرانس الاصطدام، حيث تم ذلك انتهى بمقتل جندي فرنسي وجرح أربعة. (10) ومرة أخرى انقض البرانس على القوافل الفرنسية وجرح بها ثلاثة جنود، ومقابل ذلك تعرض هؤلاء المقاومون إلى خسائر فادحة في الأرواح الشيء الذي أثر على إمكانياتهم في مواصلة نضالهم ومقاومتهم وفي هذا السياق فقد قام العقيد **هنري سيمون** بإحراق محاصيلهم الزراعية ما بين 15 و 18 ماي 1915. وقد كان لهذا الفعل أثر كبير على إعلان بعض بطون قبيلة البرانس وخضوعها للقوات الفرنسية.

إن أهم ظاهرة امتازت بها المقاومة البرنوسية هي أنها كانت تنقض عهود الخضوع التي كانت تبرمها مع القوات الفرنسية، فسمة الغدر الذي وسمتها بها المؤسسة العسكرية الفرنسية بالمغرب، تعود إلى هذا وليس إلى شيء آخر. ويظهر ذلك جليا أنه بمجرد ما تراجع رتل العقيد هنري سيمون عن قبيلتهم، حتى احتشدوا بحوالي 1500 محارب بمنطقة الشمال الغربي لجبل الحلفة، الشيء الذي دفع بالمقدم (Drangoïn) إلى مطاردة هذا الحشد في 24 ماي وذلك إلى غيابة الجبل، واستطاع أن يلحق بالمقاومين خسائر كبيرة، أما من جهة ضحاياه، فقد خلف وراءه ثلاثة عشر قتيلًا (11).

إن إصرار القيادة العليا في إخضاع البرانس لسلطتهم، جعلها توفر جميع الإمكانيات المتوفرة لتهدئة الجهة الشرقية. وضمن هذا السياق وصل رتل المقدم (Drangoin) إلى غاية عين الثلاثاء في 27 ماي 1915، وبقدر ذلك أسس مركزا عسكريا **باب المروج**، وذلك بهدف مراقبة منطقة البرانس بأكملها. ومرة أخرى سوف يتمرد البرانس على عقدة الهدنة المبرمة بينهم وبين القوات الفرنسية المرابطة بالمنطقة إذ استغل بني فكوس عودة الجيوش الفرنسية إلى ورغة لنشر البليلة في إحدى الأسواق (12).



إن هذه المعطيات تمكننا من فهم المناخ الذي استغله عبد الملك، لكي يستنفر فيه البرانس، ويصبحون من أتباعه يعول عليهم في ميادين القتال. ووفق هذا وذلك، نجح عبد الملك في تشكيل محلات من البرانس سنة 1916، وأغار بهذه المجموعة على القوات العسكرية الفرنسية المرابطة بالمنطقة وخاصة في باب المروج، وإذا كان الجنرال (Charrier) قد نجح في تشتيت أتباع عبد الملك، فإن البرانس ظلوا أوفياء لأفكارهم النضالية ولمواقفهم الرجولية المتشعبة بالقيم الوطنية. وقد برهنوا على ذلك باستمرارهم في تنظيم هجمات منسقة ومدروسة، بالرغم من الإمكانيات شبه المنعدمة. وأكدوا بذلك على فكرة الصمود، بحيث استطاعوا أن يفشلوا حملات المطاردة التي شنّها عليهم الجنرال شرييه في 16 أبريل 1916. ومن ثمة أصبح الوضع بمنطقة البرانس يندرج بالخطر، خاصة حينما تحرك بني بوعلي في شهر يونيو 1916، يستنفرون جميع بطون قبيلة البرانس، وعلى إثر ذلك استعجلت القيادة العليا العقيد (Aubert) لمراقبة هذه القبيلة. (13) لكن هذا الأخير ما إن شرع في هذه المهمة حتى داهمه يوم 13 يونيو 1916 بواد الحد، فقتلوا في صفوفه أربعة عشر وجرحوا ثمانية وعشرين، أما البرانس وحلفائهم فقد خلفوا خسائر كبيرة. وعلى الرغم من الخسائر الفادحة التي كان يحصدها هؤلاء المقاومون، فإنهم استمروا يقاومون حيث نظموا هجوما آخر على مركز جبل الحلفة يوم 26-27 يوليو 1916، وقتلوا إذاك ضابطا وجرحوا خمسة جنود. ومقابل التحركات الخطيرة للبرانس في مجالهم، فإن القيادة العليا بتأية أمدت الجنرال شرييه باللوجيستيك الضروري لإخضاع بني بوعلي في 27 أبريل 1918، واخترق مجال أهل الواد والسيطرة في 29 أكتوبر 1918 على بوهارون، وبذلك تمكنت هذه القوات من إخضاع المقاومين البرانس، حيث بادرت إلى تأسيس مراكز عسكرية ببوهارون وكهف الغار (بني بوعلي) وعلى إثر ذلك اعتبرت منطقة البرانس من ضمن المناطق الخاضعة للسيطرة العسكرية الفرنسية (14) إذ كان عبد الملك قد فشل في الاستمرار في قيادة مقاومة البرانس، فإن هذه القبيلة أبت إلا أن تجعل عين المستعمر لا يغمض لها جفن. وضمن نفس السياق، فإننا أبنينا إلا أن نبرز الطابع العام الذي بصمت به مقاومة البرانس، إذ أن البرانس إذا كانوا قد فشلوا في إنتاج شخصية قيادية محلية، فإنهم كانوا يتفانون في الجهاد وراء كل من يجاهد في سبيل استقلال البلاد وطرده الاستعمار الفرنسي الغاشم. وفي هذا الصدد نضيف لى قائمة الزعامات التي استنفرت قبيلة البرانس للمقاومة والتي تتكون من الفقيه محمد الحجامي والشنكيطي ومولاي محمد الغازي وعبد الملك، وألبرت بارتلز (Albert Bartels) الألماني، الملقب بالسي هرمان والذي نعتبره حلقة من حلقات مقاومة أهل البرانس الغامضة.

### 3- ألبرت بارتلز قائد مقاومة البرانس:

دخل ألبرت بارتلز إلى المغرب في 6 فبراير 1903 باعتباره مساعد تاجر ووسيط تجاري، وكان عمره آنذاك تسعة عشر سنة، وقد جاء إلى المغرب على متن الباخرة الألمانية. (Ottowermann)، واشتغل بالشركة الألمانية الجديدة (Brandt und Toel)، وفي نفس السنة زار مدينة مراكش، وبعدها بسنة قام برحلة استطلاعية برفقة (Albert With) إلى الأطلس ونواحيه. (15) وبعدها طاب له المقام في المغرب، أسس شركة ملاحية في الرباط والطنجة. وإذ أصبح ممثلاً لشركة النقل الملاحية بين أوروبا والمغرب. وبالنظر إلى النجاح الذي حققه في هذا الميدان، راودته فكرة إنشاء شركة ملاحية على واد سبو وعلى إثر اندلاع الحرب العالمية الأولى، لم يعد بإمكانه الرجوع إلى ألمانيا، وذلك بالنظر إلى كونه ألمانيا يعيش في منطقة الحماية الفرنسية، وبسبب ذلك قرر أن يغير مقامه، لكن شاءت الظروف أم يتم القبض عليه، وينفى إلى الجزائر التي سيغير منها إلى مدينة مليية، وبعدها سيلتحق بقبيلة المطالسة وبالتحديد سيمكت بسيدي عيسى. وأثناء وجوده بهذا المحل سيلقى عليه أتباع الشنكيطي القبض عليه باعتباره أحد الرعايا الإسبان. (16) وبعد أن تبين لهم بأنه ألمانيا، التحق بهذه المنطقة رغبة في الانتقام من فرنسا التي صادرت ممتلكاته، أطلق سراحه، فالتقى ببعض عناصر الليف الأبيض التابع لفرنسا والذين هربوا من المناطق الفرنسية. ومن ثمة شرع ألبرت بارتلز في تنظيم الخلايا الأولى للمقاومة التي سيفوقها بهذه المناطق.

لقد فطن ألبرت بأنه عنصر دخيل على المنطقة، لذلك بادر إلى إضفاء طابع الشرعية المحلية على مقاومته بأن راسل عبد الملك في شأن انضمامه إلى مخيماته من أجل محاربة فرنسا. وقد توصل عبد الملك بهذه الرسالة في سوق الحد الموجود بقبيلة كزناية. ورد عليه بكلمة واحدة، وهي مرحبا (Wellkommen). (17)، وبمجرد ما تم قبول هذا التحالف، حتى أصبح عبد الملك يتلقى الدعم المادي والمعنوي من ألمانيا، بحيث حصل من هذه الأخيرة أثناء الحرب العالمية الأولى أكثر من ستة ملايين بسيطة، وأكثر من ذلك سهر بعض الألمان على تدريب أتباعه. ولأجل استنفار مزيد من الأتباع أصبح عبد الملك يمنح كل ملتحق بحركته مبلغ ألف فرنك فرنسي. (18) وهكذا توطدت العلاقة بين عبد الملك وألمانيا بواسطة ألبرت بارتلز الذي أصبح يعرف بالسي هرمان (19).

لقد شكل تلاحم أتباع عبد الملك وأتباع ألبرت **بارتلز** شحنة قوية في مواجهة القوات الفرنسية المرابطة بالمنطقة. وقد انطلقت أولى العمليات في بداية يونيو سنة 1917، حينما حقق الفرنسيون انتصاراً ساحقاً على البرانس، واستقروا بمكناسة الغربية. آنذاك قرر ألبرت بارتلز وأتباعه مساندة البرانس واستنفارهم لمحاربة الفرنسيين. بحيث تحمسه واندفاعه في محاربة الفرنسيين فرض على عبد الملك الذي كان متردداً أن يخطط مع هذا الأخير لتنفيذ هجوم منسق ودقيق، وبالفعل فقد نجحت الخطة، إذ طوق البرانس القوات الفرنسية، وألحقوا بها خسائر فادحة، حيث قتلوا سبعة وعشرين قتيلاً من صفوفها. وعلى إثر هذا الانتصار تقوت المقاومة التي يقودها عبد الملك بتنسيق مع ألبرت بارتلز، وبدأت الوفود تتقاطر على محلاتهما، ونخص بالذكر التحاق القائد أحمد الزرهوني بمخيمات ألبرت ومعه مائتين من أتباعه (20).

وبعدما تطايرت الأخبار في المنقطة، وأصبح مخيم السي هرمان قبيلة لوفادة القبائل المجاورة، نشب صراع خفي بين عبد الملك وهذا الأخير، بحيث تخوف عبد الملك من أن يصبح متجاوزاً بالمنطقة، لذلك أصبح كثير التردد في التنسيق مع ألبرت بارتلز ويحاول إحباط جميع استراتيجيات هذا الأخير. (21) وعموماً فقد انتهى الصراع بأن طلبت حكومة ألمانيا من ألبرت بارتلز بعد اتفاقية فرساي ( 20 نونبر 1918) التخلي عن محاربة الفرنسيين والعودة إلى ألمانيا. (22) وبذلك عادت قبيلة البرانس إلى هدوءها الموشوم بالعدو المعهود ضد القوات الفرنسية، إلى غاية اندلاع ثورة محمد عبد الكريم الخطابي سنة 1925، حيث بادرت القيادة العليا استنفار قواتها للتحكم في منطقة البرانس حتى لا تلتحق بالثورة الريفية، وعليه شكل الجنرال (Daugan) بدعم من الجنرالين (DE Chambrun) و (Billote) ثلاث مناطق عسكرية، واعتبرها قواعد أساسية بالمنطقة، وأهمها المنطقة الأولى وهي منطقة باب المروج التي تمتد من الحدود الغربية للتسول إلى التخوم الجزائرية، والتي يقودها العقيد (Cambay). (23)



إن الترسانة العسكرية التي استنفرتها القيادة العليا بمنطقة البرانس، لم توهن العزائم في تفجير لهيب المقاومة مرة أخرى. إذ كثف البرانس هجماتهم خلال شهر يونيو 1925، وفي هذا السياق يعترف القعيد فوانو، بمدى خطورة هذه المقاومة فيقول: "كثف المتمردون هجماتهم، لا سيما بعدما فطنوا لمخططاتهم التي تهدف إلى ربط الريف بتأزعة بطريقة يتم فيها فصل المغرب عن الجزائر". (24)

لقد كان لثورة الخطابي وقع كبير في معاودة البرانس هجماتهم على القوات الفرنسية، إذ هاجموا مفرزة المقدم (Fèral) يوم 20 يونيو 1925 بباب المروج (25) ولم يتوانوا في تكسير إيقاع العنف الذي بصمته المقاومة البرنوسية على أرضية العمليات العسكرية، ولا أدل على ذلك، أن المؤسسة العسكرية الفرنسية حاولت جاهدة إرضاء المقاومين البرانس بشتى الوسائل، حيث بادرت إلى تزويدها بالدقيق حتى لا تتأثر بالحرب (26)، لكن ذلك لم يحل دون الاستمرار في مقاومتهم. وفي هذا الصدد يقول فوانو :

" خلال هذه المرحلة أسندت قيادة المنطقة الشرقية إلى الجنرال Boichut الذي جهز للسيطرة على جبل أمسفت التشكيلة التالية:

- ستة عشر كتيبة
- أربع سرايا
- خمسة عشر سرايا مدفعية
- مجموعتان من الرشاشات

وقد قسمت هذه الوحدة إلى قسمين:

- مجموعة الغرب بقيادة القعيد Dosse.
- مجموعة الشرق بقيادة Corap.

لقد نجحت هذه الوحدات في إخضاع البرانس، لكنه بالرغم من ذلك استمر المتمردون في مواجهتنا" (27).

يتضح إذن أن إخضاع البرانس لن يتم بسهولة، ولذلك بادرت القيادة العليا إلى إقامة حاجز بين التسول والبرانس ومنطقة تازة، حتى يتم بذلك قطع دابر التنسيق الذي قد يتم في أي لحظة بين هذه المناطق (28).

وبالرغم من هذه التدابير ، فقد استطاع محمد بن عبد الكريم أن يستنفر البرانس لمواجهة القوات الفرنسية بالمنطقة، وأن يساهموا في دعم خطوته الأمامية (29).

ولإيقاف التحاقات البرانس بمخيمات محمد عبد الكريم الخطابي، فقد كلفت القيادة العليا القبطان (Miège) الذي ألحق به بورنازيل كمساعد له، (30) والذي نجح في استمالة بعض البرانس، الذين نظموا حركة ترأسها القائد الخلافي الذي بمجرد وصوله إلى حدود مخيمات محمد بن عبد الكريم الخطابي، فر ومن معه إلى مسيلة. (31) وانطلاقاً من هذا الحدث قررت القيادة العليا تطهير منطقة البرانس من جميع المقاومين. ولذلك تبنت خطة التطويق التالية:

1- من الجهة الغربية: المجموعة المتحركة التي يقودها القعيد (Dosse).

2- من الجهة الشرقية: المجموعة المتحركة التي يقودها القعيد (Corap) (32)

لقد نجحت هذه الخطة في تطويق البرانس، وإخضاعهم بشكل نهائي، كما أن هزيمة محمد ابن عبد الكريم الخطابي لعبت دوراً مهماً في تراجع المقاومة البرنوسية وإعلان الاستسلام في مركز باب المروج. (33)

وخلاصة القول، إن القصدية الواضحة من كتابة تاريخ منسي لمقاومة البرانس تتأسس على قاعدة إبراز الخصوصية المحلية لهذه المقاومة من جهة، وتشخيص الحثيات الفاعلة في هذه الأخيرة من جهة أخرى. كما أن إثارة هذه الخاصية التي وسمت بها المقاومة البرنوسية، من شأنه أن يقربنا من إدراك الجوانب الخفية في التفاف قبائل البرانس حول الزعامات غير المحلية.

**سمير بوزويتة**

- 1- Deux Agitateurs, le Rogui et le Hajami, Bulletin de l'Afrique Française ,18 Avril 1914. p214.
- 2- **Baumgarten** : les opérations (Période du 20 Juin au 1<sup>er</sup> Sept 1914) 1- Région de Taza, 3 h 586.
- 3- Ibid – 1.
- 4- Ibid – 2.
- 5 - نذكر بأن المجاهد مولاي محمد الغازي لقب هو الآخر بالروكي.
- 6 - **السليمانى الأعرج** : زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ خ ع د 3657 ص : 420.
- 7 - إن دعوة عبد الملك الجهادية هي استمرار لصدى جهاد الأمير عبد القادر وتحركاته بالمنطقة الإيباوية والشرقية عامة،  
**انظر: عبد الرحمن المودن**: البوادي المغربية قبل الاستعمار، قبائل إيبان والمخزن بين القرن السادس عشر والسابع عشر، منشورات كلية الآداب الرباط، 1995، ص : 400.
- 8-**Voinot colonel** : Sur les traces glorieuses des Pacificateurs au Maroc, Charle-Lavauzellz, 1939, P : 126.
- 9-Ibid, P : 145.
- 10-Ibid , P : 146.
- 11- Ibid, P : 146 .
- 12-Ibid,P : 147 .
- 13-Ibid, P : 148.
- 14-Ibid, P : 149.
- 15-**Bartels albert** : Auf eigene faust- Erlebnisse in Marokko. Meine Erlebnisse vor und Während des welt krieges in Marokko, leipzig 1925, P: 22.
- 16-Ibid, p :73.
- 17-Ibid, P :78-79.
- 18-**De Boisboissel Yves Général** : Dans l'ombre de **Lyautey**, Audré Bonne Editeur, 1954- P :22.
- 19- نبيه إلى أن أندريه كوليز يزعم بأن عبد الملك التحق بغياثة برفقة ألبرت بارتلز، لكن الحقيقة شيء آخر، وهذا ما حاولنا توضيحه والتعريف بحيثيات العلاقة التي ربطت عبد الملك بألبرت بارتلز، انظر:  
- **colliez André** : Notre protectorat Marocain, la première étape (1912-1930 )  
Librairie des sciences politiques et sociales, Maral Rivière, Paris, 1930. P : 119.
- وضمن نفس السياق، نشير إلي أن دانييل ريفي تغاضى الطرف في البحث عن الجوانب الخفية حول علاقة عبد الملك بألمانيا، باستثناء أنه أشار إلى أن التموين الحربي كان يتلقاه من ألمانيا عبر وساطة Farr أنظر :
- **Rivet Daniel** : Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc,T.2 l'Harmattan, Paris, 1998, P : 109.
- 20-**Bartels Albert** : Au feigne P : 138 – 139.
- 21- Ibid, P : 149.
- 22- Ibid, P : 167.
- 23-**Voinot colonel** : Sur les traces... P : 149.
- 24- Ibid, P : 149.
- 25- Ibid , P : 150.
- 26- Exposition coloniale international de Paris de 1931, Les armés Française d'outre-mer, le service de l'intendance aux colonies, Imprimerie, Vallainet, Paris, 1954, P : 258.
- 27- **Voinot colonel** : sur les traces... P : 150-151.
- 28- Exposition coloniale internationale de Paris de 1931, les armés Française d'outre-mer les opérations militaires au Maroc, Imprimerie nationale, Paris, S D P : 156.
- 29- Ibid P : 152.
- 30- **D'Esme Jean** : Bournazel, l'homme rouge, Editions, G.P, Paris, P : 99.
- 31- Ibid, P : 108.
- 32- Ibid, P : 124.
- 33- Ibid, P : 127-131, voir aussi **Kasdir lieutenant** : les opérations du groupe mobile de Taza en 1923, Renseignements coloniaux, P : 158.